

فقالوا لى إنهم كفار ومشركون يعبدون الإمام على (ع) ويعبدون القبور ومن فيها!

ولد عام ١٩٧٧م بمنطقة مانغاش فى مالاوى ، نشأ فى أسرته مسلمة شافعية المذهب ، وتلقى دراسته الابتدائية فى مسقط رأسه ، تشرف بإعتناق مذهب أهل البيت (ع) عام ١٩٩٧م فى عاصمه بلده.

يقول الأخ إبراهيم : كنت منذ طفولتى باحثاً عن الحق ، وكنت أتطلع لإكتشاف الحقيقة ، فكان هذا الأمر قد فتح أمامى آفاقاً رحبه فى دنيا النقاش والحوار مع الآخرين ، ولم ينغلق ذهنى على الأفكار الجامده المحدده بعينها ، بل كنت أتشوق لمعرفة كل جديد ، وألتقط كل حكمه ظريفه ، رق سمعى فى الإثناء أن الحق مع المسيحيين ، وأن المسيح (ع) هو المخلص والمنجى ، وأنه صلب لينقذ البشريه من الخطايا والأوزار ، فقررت أن أبحث فى الديانه المسيحيه ، فذهبت إلى كنائسهم واستمعت إلى عظات قساوستهم ، ودخلت فى مناقشات مستعصيه معهم ، لكن كانت النتيجة أننى لم أقتنع بكثير من عقائدهم وخاصه قولهم بأن المسيح هو الله أو هو ابن الله ! ولم يتقبلها عقلى أبداً ، حتى قررت الإبتعاد عنهم فإنى لم أجد بغيتى عندهم ولم أجد لنهجهم العقائدى قابليه لإيصالى إلى بارئى.

بعد هذا المشوار قلت : فى سريره نفسى : لماذا لا أتحقق فى دائره الإسلام وأبحث عن ضالتي فيه الذى هو دينى ؟ ، ولماذا أبحث عن الحقيقة فى متاهات بعيدة ، وأنا بعد لم أعرف حقيقه دينى وجوهر عقيدتى؟! فشمرت ، عن ساعد الجد لدراسه الإسلام ، وخلفت ورائى ما ضاع من عمرى وأنا مسلم بالإسم فقط ، تهزنى إبسط دعايات المبشرين.

وكانت البدايه بأن شرعت بتعلم اللغة العربيه حتى أحسنت قراءه القرآن ، هذا الينبوع الصافى الذى لابد لكل مسلم أن يقرأه ويتعلمه ويهتدى بهديه ، بعد ذلك سمعت بمذهب إسلامى يدعى بالتشيع ، فاستفسرت عنهم ؟ ، فقالوا لى : إنهم كفار ومشركون يعبدون الإمام على (ع) ويعبدون القبور ومن فيها! ، وقال لى آخرون : إنهم إحدى الفرق الإسلاميه التى لها تاريخ طويل وماض عريق! ، فتحيرت فى أمرهم ودفعنى حب الإستطلاع لأتعرف عليهم ، فواصلت البحث فى هذا المجال ، ولفت إنتباهى بأن رأيت مجموعه كبيره من الشباب تخشى الإلتحاق بالمدرسه الشيعيه الموجوده فى العاصمه خوفاً على أنفسهم من الضلال والانحراف! وذلك لتأثرهم بالكلام الذى كان يقال : عن الشيعة ، لكننى توكلت على الله سبحانه وعزمت على الجد لأكتشف حقيقه الأمر بنفسى.

وبعد مضى فتره من الدراسه فى المدرسه الشيعيه تبينت لى الكثير من الأمور التى كانت خافيه على ، وبدا لى الحق الذى كنت أبحث عنه ، وإبتسم لى ثغر الحقيقة الذى كنت أتلطف للثمه والإرتشاف من رحيقه ، فعرفت أن الحق مع أهل البيت (ع) وأن معظم ما كان يقال عن الشيعة لم يكن له صحه فى الواقع ، وأن ما يتهمونهم به من إشراك غير الله فى عبادتهم لاواقع له ، وأنا لو نظرنا إليهم بعين الأنصاف لوجدناهم من أهل التوحيد الحقيقى والعباده الخالصه لوجه الله دون غيره.

إن العبادة لا تكون إلا لله وحده لا شريك له ، وهذا الأمر هو من ضروريات الدين والمجمع عليه بين كل المسلمين ، فمن عبد غير الله فهو كافر مشرك سواء عبد حجاره الأصنام أو عبد صالح الأنعام ، والقرآن الكريم صريح في ذلك ، فالمسلم يقرأ كل يوم في صلاته عشر مرات : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، ويقرأ في سورة التوبة : (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) ، ويقرأ في سورة يوسف : (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) ، ويقرأ في سورة الزمر : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) ، ويقرأ فيها أيضاً : (قل الله أعبد مخلصاً له ديني) ، إلى غير ذلك من الآيات الكريمه.

لقد عرف أهل اللغة العبادة بتعاريف متقاربة ، فقد قال ابن منظور في لسان العرب : أصل العبودية : الخضوع والتذلل ، وقال : الراغب في المفردات : العبودية إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها ، لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقاً من له غايه الأفضال وهو الله تعالى ، ولهذا قال : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) ، وقال : الفيروز آبادي في القاموس المحيط : العبادة : الطاعة.

وتعريف العبادة بالطاعة والخضوع ، أو غايه الخضوع والتذلل هو تعريف بالمعنى الأعم ، لأن إحترام الولد لوالده وطاعته له وإحترام التلميذ لأستاذه وخضوعه أمامه ، بل تذلل الجندي إمام قائده كل ذلك لا يعد عبادة مطلقاً مهما بلغ في الخضوع والتذلل ، فلو قبل الولد أقدام والديه فلا يدعى أحد أن عمله هذا عبادة منه لوالديه ، بل على العكس نجد القرآن يقول : (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة).

ومن الأدله الواضحه على أن الخضوع المطلق لا يعد عباده ، هو أمر الله سبحانه للملائكة بالسجود لآدم ، وقد قال تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) ، فسجدوا لآدم ولم يكن سجودهم عباده ، لأن الله : قد نهى جميع الأنبياء من آدم (ع) إلى الخاتم (ص) ، عن الشرك ، فقال : سبحانه : (ولقد بعثنا في كل أمه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ، وقال : سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ، إذن لابد أن يكون للعبادة مقوم آخر غير موجود في مثل سجود الملائكة لآدم ، أو سجود يعقوب وولده ليوسف كما في قوله تعالى : (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال : يا أبت هذا تأويل رعاياي من قبل قد جعلها ربي حقاً).

وكذا أمره سبحانه وتعالى للمسلمين بالطواف بالبيت الذي بنى من الطين والحجاره ، فقال : سبحانه : (وليطوفوا بالبيت العتيق) ، والسعى بين الصفا والمروه ، بقوله : (إن الصفا والمروه من شعائر الله فمن حج البيت أو عتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) ، فهل الطواف حول الطين والحجاره والسعى بين الجبال عباده لها؟! ، أضف إلى ذلك أن الله سبحانه أمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، فقال : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ، ولا شك أن الصلاة إنما تكون لله ، لكن إقامتها في مقام إبراهيم - الذي يرى فيه آثار قدميه - هو تكريم لأبى الأنبياء وليس عباده للمقام ، ومن مجموع ما تقدم يتبين أن ليس كل تكريم وخضوع وإحترام هو عباده ، وإلا للزم أن نعتبر جميع البشر بما فيهم الأنبياء (س) مشركين

لأنهم كانوا يحترمون من يجب إحترامه!.

قد ذكرت عدة تعريفات للعبادة ، ويمكن القول بأن أفضل هذه التعاريف وأجمعها هو التعريف الآتى : هى الخضوع عن إعتقاد بالوحيه المعبود وربوبيته وإستقلاله فى فعله ، ويستفاد من هذا التعريف أن للعبادة عنصران مقومان :

١ - خضوع لفظى أو عملى.

٢ - عقيدته خاصه تدفع إلى الخضوع.

فالخضوع اللفظى يكون بالكلام الدال على التذلل للمعبود ، والخضوع العملى يكون بعمل خارجى كالركوع والسجود مما يدل على ذلته وخضوعه لمعبوده ، أما العقيدته فهى عبارته ، عن إعتقاد بالوحيه المخضوع له وإعتقاد بربوبيته وإعتقاد بإستقلاله فى فعله.

إن الإعتقاد بالإلوهيه لا يكون إلا ، فإذا كان لغيره يكون شرك ، ويتضح هذا الكلام عندما نعرف أن الموحدين والوثنيين جميعاً يعتقدون بالوحيه معبوداتهم سواء كان إلهاً صادقاً أم كاذباً ، كبيراً أم صغيراً ، وهذا المعنى هو المقوم لصدق العباده ، وحيث أن العباده لا يستحقها إلا من كان إلهاً ، نرى القرآن يؤكد بأنه لا إله إلا الله حتى تتخصص العباده به سبحانه دون غيره ، فيقول جل وعلا : (الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون) ، ويقول تعالى : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) ، ويقول تعالى : (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ، ويقول تعالى : (أننكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) ، إذن فغير الله لا يستحق العباده لأنها من شؤون الإلوهيه ومن خصائصه سبحانه لا غير ، ولذا نرى خضوع المحب لمحبوبه لا يعد خضوعاً عن عباده ، لأنه لم يصدر عن الإعتقاد بالإلوهيه.

إن الآيات الداله على وحده الإله صريحه فى أن المراد من الإله ، هو الخالق المتصرف المدبر الذى بيده أزمه أمور الكون ، كما فى قوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) ، وقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ، وقوله تعالى : (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سيلا) .

الربوبيه - من الرب - وهى الإصلاح والتدبير والتربيه ، والله سبحانه رب العالمين (رب السموات والأرض) ، والعباده من شؤون الله وحده دون غيره لأنه سبحانه حصر الربوبيه به دون غيره (إن الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) ، و (إن هذه أممكم أمه واحده وأنا ربكم فاعبدون) ، وقول المسيح (ع) فى قوله تعالى : (يبنى إسرائيل إعبدوا الله ربكم) ، وعليه فالرب هو من بيده مصير الخاضعين له وشؤونهم الدنيويه والأخرويه من وجود وحياء وأجل وعاجل ، والخضوع المقرون بهذا الإعتقاد يضافى عليه عنوان العباده.

أما الإعتقاد بإستقلال المخضوع له فى فعله ، فيعنى كونه قائماً بنفسه لايفتقر ولا يحتاج

إلى غيره ، ومن هذا المنطلق إذا خضع الإنسان لموجود وهو لا يرى الإستقلالية فى وجوده وفعله ، فلا يكون خضوعه عباده لذلك الموجود ، فالعبادة هى الخضوع إمام موجود مع الإعتقاد بأنه مستقل فى ذاته.

يستنتج مما تقدم : إن الشعائر والطقوس التى يقوم بها شيعة أهل البيت (ع) ومعظم المسلمين من تعظيم قبور الأئمة والأولياء والصلحاء ليست عبادة لغير الله ، وإنما هى من مصاديق التكريم والإحترام ، لأنها لم تنطلق من إعتقادهم بالوهية عباد الله الصالحين ولا ربوبيتهم على نحو الإستقلال ، بل تنطلق عن الإعتقاد بكونهم عباد مكرمون يجب إحترامهم.

فالتبرك وتقبيل الأضرحة وأبواب المشاهد التى تضم أجساد الأنبياء والأولياء لا يعد عبادة لصاحب القبر والمشهد لفقدان مقومها ، وإن إقامة الصلاة فى مشاهد الأولياء تبركاً بالأرض التى تضمنت جسد النبى (ص) أو الإمام (ع) فى الحقيقة هو كالتبرك بالصلاة عند مقام إبراهيم إتباعاً لقوله تعالى : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

وكذا التوسل والإستغاثه والتشفع بالأولياء لا يعد عبادة ، لعدم الإعتقاد بالوهيتهم وربوبيتهم ، بل يعد من التوسل بالأسباب ، لأن الله سبحانه جرت حكمته أن يقضى حوائج عباده ببركتهم وشفاعتهم ، وذلك لأنهم مقربون لديه مكرمون عنده ، قد إذن الله لهم بالشفاعه بإذنه ، فقال تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) .

من هنا يتبين أن تشبيه القائمين بهذه الأعمال من المسلمين بالوثنيين تشبيه فى غير محله ، وقياس مع الفارق ، لأن الوثنيين كانوا يعبدون الأصنام على أنها أرباب مستقلة لها التصرف فى الكون ، فهى التى تمطر الناس إذا إستغاثوا بها وتدفع البلياء عنهم إذا دعوا وإستنجدوا بها ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : (من دونه) فى قوله تعالى : (والذين إتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ...) .

فكان إعتقادهم أن هؤلاء الأرباب يقربونهم إلى الله ، وهو الإله الكبير عندهم الذى خلق الكون وأوجده ثم فوض أمر التدبير فيه إلى هذه الأرباب المزعومة ، وأين هذا مما يفعله المسلمون من عبادة الله وحده لا شريك له عند مقامات الأولياء وأضرحتهم!.

والقياس الصحيح والتشبيه الوجيه ، هو إن يقاس زائرى الأضرحة والطائفين حولها بالطائفين حول الكعبة والبيت الحرام والساعين بين الصفا والمروه ، فالطائف حول البيت العتيق والساعى بين الصفا والمروه لم يعبد الأحجار وإنما عبد الجبار الذى إصطفى هذه الأماكن ودعا إلى عبادته فيها ، وهكذا حال زائر قبر الولي وإن إفترى من إفترى بتشبيه عباد الرحمن بعباد الأوثان.

الإهداء بنور معارف أهل البيت (ع) : يقول الأخ إبراهيم : بمرور الأيام إزدادت بصيرتى وإرتقى مستواى المعرفى بعلوم ومعارف أهل البيت (ع) فلهذا قررت بعد إكمال دراستى الأكاديمية فى عاصمه بلدى أن أنتقل إلى إحدى الحوزات العلميه الشيعيه ، لأرتشف من

علوم آل محمّد (ص) ، فاستطعت بعد ذلك - بحمد الله - أن أشيد خزين معرفي واسع في قلبي من علوم أهل البيت (ع) وقد أعانني هذا الرصيد العلمي كثيراً لأعبر أشواط الحياه ، متخطياً كل الصعاب بعزم راسخ وإرادته لا تلين.